(٩) الرئيس

استقبل رئيس الجمهورية رئيس وزراءه فى مكتبه قائلاً له وسط ابتسامة باردة :

- مرحبا مرة اخري برئيس الوزراء..

أشار له الرئيس بالجلوس فجلس وهو يقول :

- مرحبا يا سيدي اعتذر علي ازعاجك..

تنهد الرئيس وهو يقول :

- لا بأس .. ففي كل الأحوال كان لابد أن أقابلك اليوم ونتناقش قليلاً ..

قال رئيس الوزراء فى حزم واضح :

- سيدي .. أعلم انه وصل إلى علمكم ما حدث بالامس ولكني لن أتحدث عنه .. وإنما سأتحدث عن مستقبل دولة وشعب..

أشار الرئيس بيده وهو يقول فى اقتضاب :

- حسنا .. قل ما لديك..

صمت هو للحظات قليلة ليستجمع أفكاره ثم قال :

- هناك سؤال دائما كان يشغل تفكيري .. وهو لماذا لا نتقدم وننهض وننمو لنكون في مصاف الدول الكبري .. وعندما توليت رئاسة الوزراء واقتربت أكثر من صناع القرار وفي أول يوم في منصبي جاءتني احصائية موثقة من الأقل الى الأكثر تؤكد أننا نحتل الترتيب رقم ٩٣ من١٣٣ دولة اجريت علي مؤسساتها المالية والأساسية ١٦ مسحا دقيقا عن معدلات الفساد والتأكد من شفافية المعاملات المالية للقطاع الحكومي والخاص .. وهو رقم مرتفع جدا وترتيب خطير في هذه القائمة..

هز الرئيس كتفيه فى لامبالاه قائلاً فى برود :

- هذه احصائية مغلوطة ولا تعترف بها دول كثيرة..

فقال هو فى سرعة :

- هذا لا ينفي ابداً في انني رصدت وقائع وشبهات حول حصول مسئولين كبار وبعض من المقربين لسيادتكم علي رشاوي وحصص مجانية تصل الي ٥٠٪ في رأس مال كبري الشركات التجارية والصناعية وهو ما أدت الي تعرض هذه الشركات لخطر الأفلاس والإنهيار واضطرارهم الي الاستغناء على نسبة كبيرة من العاملين بها مما اسهم في زيادة معدلات البطالة وارتفاع معدلات الكساد في أسواقنا ..

احتقن وجه الرئيس بشدة ونظر اليه فى غضب واضح ولكنه كتم كل ذلك وقال له متسائلاً:

- وماذا ايضاً؟

إندفع هو يضيف:

- لدي أدلة بأن هناك وزراء ثبت تورطهم بإستغلال نفوذهم للاستيلاء علي اراضي وممتلكات الغير وبتلقي عمولات ورشاوي بمئات الملايين فضلا عن التهريب والمتاجرة بكل شئ بطرق غير مشروعة بالاضافة الي وجود كبار موظفين في الدولة يجمعون بين اكثر من وظيفة حكومية في وقت واحد يحصلون منها علي الاف الجنيهات وبعضهم منقطع عن عمله ومع ذلك يحصل علي كامل راتبه بالحوافز والارباح وللأسف تحميهم قوانين ولوائح داخلية تعيق عمل النيابة الادارية في التحقيق والمحاسبة وتوقيع العقاب علي المخالف أو المهمل أو المخطأ.. (ثم صمت قليلا وبدا متردداً ولكنه استطرد يتابع) اسمح لي يا سيدي بالتكلم معك بصراحة تامة..

صاح الرئيس به وبصوت مرتفع غاضب:

- صراحة تامة .. أكثر من ذلك .. اذن ستتسبب في ازعاجي واثارة اعصابي مثلما حدث امس مع معظم الوزراء خلال اجتماع الحكومة امس والذي تحول الي عراك وفوضي..

ظهر الانفعال على وجه رئيس الوزراء وهو يقول:

- لقد تحدثت معهم وواجهتهم بتقارير عن اداءهم بالحكومة خلال الفترة الماضية تضمنت مخالفات يندي لها الجبين..

مال الرئيس أمامه يسأله بلهجة قاسية :

- وهل من المنطقي ان تشكل لجنة سرية لمراقبتهم دون علمي؟ .. هل من المنطقي ان تتجسس علي رجالك ورجالي؟

اجابه هو فى ثبات وقوة :

- سيدي انني في حالة حرب مع الفساد .. ويحق لي ان استخدم كل الطرق والاساليب للوصول الى ....

قاطعه الرئيس فى غضب متزايد :

- ليس بهذه الطريقة ابداً .. لقد تجاوزت كل حدودك هذه المرة .. (ثم هدأ فجأة وهو يستطرد) ..مشكلتك انك مثالي جدا .. تتصور ان حياة المدينة الفاضلة يمكن تحقيقها علي الأرض..

رد عليه رئيس الوزراء فى ثبات :

- وهل العدل والمساواة اصبحا لا يتحققان الا في الأحلام..

فقال له الرئيس :

- افكارك هذه لا تصلح مع السياسة ابداً..

نهض رئيس الوزراء ودس يده فى جيبه ليخرج منه ورقة مطوية ناولها الى الرئيس قائلاً فى حسم قوي:

- اذن .. ارجو قبول استقالتي..

مد الرئيس يده ليأخذ الورقة قائلاً :

- وأنا قبلتها..

ثم اشاررئيس الوزراء الى حقيبته قائلاً:

- هذه الحقيبة تحمل كل الادلة والمستندات التى تثبت ما قلته .. وأتصور أنها لم تعد تلزمني فى شئ..

سأله الرئيس متجاهلاً ما ذكره:

- ما خطتك لمستقبلك؟

تنهد رئيس الوزراء وقد ألمه تجاهل الرئيس للحقائق فقال والحزن يتساقط من كلماته:

- سأرحل من هنا الي أي بلد آخر..

قال له الرئيس :

- لا يهمني الوجهة .. (ثم اضاف فى جدية شديدة تحمل مغزى خاص) .. ولكن الاهم ان تصمت تماما فهذا افضل لك وللجميع..

أومأ رئيس الوزراء وتحرك مغادراً ولكن قبل أن يفتح باب المكتب إلتفت الى الرئيس يسأله :

- وهل تعتقد أن الشعب سيظل صامتاً مستسلماً..؟

أجابه الرئيس فى سخرية :

- لا تقلق بشأن الشعب .. اتركه لنا ..

وكانت الاجابة كافية بأن يغادر المكتب على الفور ويتجه سريعاً الى سيارته..وقبل أن يفتح بابها شعر بشئ ما فى أعماقه ..وبصورة لا إرادية وجد نفسه يلتفت لينظر إلى أعلى ..إلى نافذة مكتبها ..والغريب أنها كانت تقف هناك ..تشاهده ..وتلوح له بالوداع ..ورغم بعد المسافة إلا أنه لمح تلك الابتسامة .. الابتسامة التى دائماً ما تغطي وجهها فى الفترة الأخيرة..ابتسامة شيطانية.. ابتسامة السيدة الأولي..

*****

- أخيرا .. لقد أقال رئيس الوزراء الذى كان بمثابة صداع دائم لنا ..

هتفت السيدة الاولى بكلماتها هذه عبر الهاتف الجوال وهى تخاطب ابنها الذى اتى صوته قائلا:

- كان لابد من اتخاذ هذه الخطوة منذ فترة طويلة .. ولكن مع الاسف دائما ما اجد نفسى مقيدا ومحاصرا بسبب وجوده فى حياتنا ..

قالت والدته بصوت يحمل بعض القلق:

-هجومك الدائم عليه فى الاونة الاخيرة يقلقنى بشدة..

صاح متسائلا وهو يحاول تغيير دفة الحديث لموضوع آخر:

- كيف حال البلاد والحكومة والحزب؟؟..

ادركت محاولته ومع ذلك اجابته :

- كل شئ يسير وفق ما نخطط له .. لا تقلق .. فأنا متواجدة بشكل دائم وأقوم بمتابعة كل شئ بنفسي .. (ثم تنهدت وهى تسأله مستطردة) .. ولكن قل لى .. هل رأيت العروس؟؟

اطلق ضحكة ساخرة وهو يجيب:

- نعم .. يا أماه .. نعم ..

ظهر الضيق فى صوتها اعتراضا على سخريته ولكنها عادت تسأله:

- وما رأيك؟

قال فى مرح واضح :

- لا يختلف اثنان على جمالها وحسنها .. (ثم استطرد فى جدية) .. انها اميرة بالفعل .. بكل ما تحمله كلمة أميرة من معان..

اسعدتها كلماته فصاحت :

- رائع ... رائع .. كنت أعلم بأنها ستنال اعجابك.. مبارك ان شاء الله .. سأسافر اليك خلال اسبوع..

هتف هو من الطرف الاخر قائلا وهو ينهى حديثه:

- حسنا.. أراكى قريبا..

صاحت تلاحقه قبل ان ينهى مكالمته :

- اسمع .. كنت اريد ان اطرح عليك سؤالا؟؟

ظهر الملل فى صوته وهو يسأل:

- وما هو؟؟

سألته فى جدية شديدة لأول مرة يسمعها من والدته :

- ألم تقلقك الثورات التى بدأت تنطلق فى البلاد العربية؟؟

قال فى لامبالاه واضحة:

- ولماذا يقلقنى هذا .. كل شئ تحت سيطرتى؟

قالت فى توتر:

- بل لابد ان نقلق .. الامر بدأ فى تونس ثم انتقل سريعا الى مصر .. والان ليبيا .. وهنا حالة من الاضرابات والاضطرابات والتمردات والمظاهرات تجتاح بلادنا..

هتف بصوت واثق متابعا لعبارتها:

- والامن لدينا يقوم بدوره على اكمل وجه..

عادت تقول فى مزيج من التوتر والعصبية :

- الاخوان ايضا يقومون بإثارة الشعب ضدنا ويتحركون على كافة المستويات..

زفر فى ضيق وهو يقول:

- هؤلاء الأوغاد .. رغم اعتقال جميع القادة والكبار الا ان صغارهم لا يملون ابدا .. (ثم استطرد فى شراسة وقوة واثقة) .. سأقوم بحملة اعتقالات اخرى بمجرد عودتى..

صاحت قائلة:

- حاول ان تعود سريعا لمواجهة اى تطور فى الاحداث..

رد سريعا:

- حسنا .. حسنا .. الى اللقاء..

ثم انهى المحادثة بينما ظل القلق والتوتر يسيطران على كيانها وفى اعماقها بكل قوة..

*****